الباب الثانى

أُسس إسْلام
الوَجْه لله

الفصل الأول

العِلْم

يقول الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[1].

وإنه بمقدار تعمق الإنسان فى الجانب العلمى فى صدق وإخلاص تكون خشيته لله تعالى؟ ذلك أنه يرى من نواميس الكون ومن الإتقان فى الصنع، ومن الحكمة فى التدبير؟ ما يجعله ساجداً لمبدعه ومنسقه.

وإن هؤلاء الذين يتصلون مثلاً بعلم التشريح من قرب أو يتخصصون فيه، يرون من الإحكام المحكم ومن الدقة الدقيقة فى مختلف الأجهزة الجسمية وفى مفردات هذه الأجهزة ما يضطرهم اضطراراً إلى السجود لرب هذا التنسيق والترتيب والإبداع.

وليس علم التشريح وحده هو الذى يبهر العالم المتبحر فيه، وإنما يبهر علم الفلك العالم الفلكى، ويبهر علم الأحياء عالم الأحياء، وهكذا تجد انبهار النفس فى كل ميدان من ميادين المعرفة الكونية: أرضها وسمائها، وما بين الأرض والسماء..

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝٢ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ

(١) سورة فاطر: ٢٨.

مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾[1] .

وصدق الله سبحانه إذ يقول:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[2].

وخشية الله التى هى ثمرة العلم أساس من أهم أسس إسلام الوجه لله.

ومن هنا كانت ضرورة العلم فى الإسلام، إنه ضرورة وليس ترفًا، فهو من أسس الإسلام نفسه.

ومن أجل ذلك كان من مقومات شخصية المسلم: العلم.

العلم بالكون، وبالإنسان، وبالنفس، وبكل ما تتسع له الكلمة من معنى كريم.

موقف الإسلام من العلم:

إلام تؤدى الخشية ؟

إلام ينتهى العلماء الصادقون المؤمنون ؟

يقول الله تعالى:

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[3].

إنهم يصلون عن طريق العلم الذى يثمر الخشية إلى التوحيد،

---

(١) سورة الملك : ١ ـ ٤ .

(٢) سورة فاطر : ٢٨ .

(٣) سورة آل عمران : ١٨ .

التوحيد الذى هو سمة الدين الإسلامى ـ كما يرى البيرونى ـ والذى هو فى حقيقة الأمر سمة التدين الصادق.

ويشهد العلماء التوحيد مع الله سبحانه، ومع الملائكة الأطهار.

إن الله سبحانه قرن العلماء به وبملائكته فى شهادة التوحيد. وهذا أسمى ما يمكن أن يصل إليه تكريم العلماء من مكانة.

وشهادة التوحيد التى هى قمة الركن الأول للإسلام، وهو: « أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله » لا يشهدها إلا العلماء المؤمنون.

وشهادة التوحيد التى هى منتهى ما يمكن أن يصل إليه السالك فى معراجه إلى الله سبحانه لا تتحقق إلا فى العلماء المؤمنين.

إن شهادة التوحيد هذه قد وجَّه الله الأنظار إليها بأساليب شتى، ومن هذه الأساليب ما لا يقدّره ـ فى دقته وروعته الرائعة ـ إلا العلماء..

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[1]؟.

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ

(١) سورة النمل: ٥٩.

ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾.

﴿ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾.

﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

﴿ أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (١).

ثم يعقب الله على هذه الآيات بأنه مهما بلغ العلماء بعلمهم فإن المجهول كثير، وأنه لا يعلم هذا المجهول المغيب إلا الله سبحانه، والتعقيب الكريم معناه أن العلم لا ينتهي إلى غاية، وأن كشف المجهول رسالة لا تنتهي ما دامت السموات والأرض فيقول سبحانه:

﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾(٢).

ومن أجل شهادة التوحيد، أو من أجل وصول الإنسانية إلى

---

(١) سورة النمل : ٦٠ ـ ٦٤ .

(٢) سورة النمل : ٦٥.

أقصى ما ينتهى إليه ـ بالنسبة للإنسانية : كل بحسب استطاعته ـ فى معارج القدس، حث الإسلام على العلم ووجَّه إليه وجعله من أسس الدين نفسه.

لقد حث عليه فى صور بلغت من الروعة حداً لا يجارى.

والآيات والأحاديث التى وجهت الأمة الإسلامية إلى العلم كثيرة مستفيضة.

وإذا كان العلماء يشهدون التوحيد مع الله ومع الملائكة فإن منزلتهم بالمكان السامى، ودرجاتهم سامية فى الرفعة والعلو:

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾(١).

ولهذه الجوانب من فضل العلم والعلماء أمر الله سبحانه وتعالى رسوله ـ وهو قدوة المسلمين وأسوتهم ـ أن يقول:

﴿ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾(٢).

رب زدنى علماً فى كل يوم ، بل فى كل لحظة، ذلك ما يجب أن يكون شعار المسلم، وإذا ما ازداد المسلم علماً ازداد خشية، وإذا ما ازداد خشية تحقق فيه إسلام الوجه لله على صورة أكمل.

ومن الملاحظات التى يجب أن تراعى، أن الكلمة الأولى التى نزل بها الوحى على المصطفى ﷺ مبشرة بعهد من النور جديد هى

(١) سورة المجادلة : ١١.

(٢) سورة طه : ١١٤.

كلمة: ﴿ اقْرَأْ ﴾[1].

وإذا نظرنا الآن إلى الأحاديث الشريفة الخاصة بالعلم فإننا نرى عجباً:

يقول رسول الله ﷺ - فيما رواه أبو داود، والترمذى وغيرهما -:

« **العُلَماءُ وَرَثَةُ الأنبياء** ».

ويقول ﷺ - فيما رواه الترمذى -:

« **وفَضْلُ العالِم على العابد كفَضْلى على أدنَى رجل من أصحابى** »[2].

وفيما رواه الإمام أحمد والحاكم وصححه وغيرهما، أن رسول الله ﷺ قال:

« **إنَّ الملائكةَ لَتَضَعُ أجنحتَها لطالبِ العلم رضًا بما يَصْنع** ».

ومن أجمع الأحاديث فى فضل العلم ما رواه أبو داود والترمذى عن أبى الدرداء رضي الله عنه قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« **مَنْ سَلَكَ طريقًا يبتغى فيه علمًا سهَّل الله له طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لَتضعُ أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن العالم لَيستغفرُ**

---

(١) سورة العلق: ١.

(٢) رواه الترمذى من حديث أبى أمامة وقال: حسن صحيح.

له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورَّثوا العلم فمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بحظ وافر».

ولقد روى أبو نعيم حديثاً ليس بموضوع، وهو وإن لم يبلغ درجة الصحة، فإن الجو الإسلامى كله يؤيده، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

« أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد: أما أهل العلم فدلُّوا الناس على ما جاءت به الرسل، وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل ».

ولقد تابع المسلمون القرآن والحديث الشريف فى الحث على العلم ونكتفى فى هذا بما قاله سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه:

روى الإمام الغزالى فى الإحياء، قال:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ـ ورأيته مرفوعاً [1] ـ قال:

« تعلَّموا العلم، فإن تعلُّمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قُربة، لأنه

---

(١) يعلق الحافظ العراقى على هذا الحديث بأنه قد رواه : أبو الشيخ ، وابن حبان فى كتاب الثواب ، وابن عبد البر ، وقال : ليس له إسناد قوى ، ونحن هنا يكفينا أن يكون من قول سيدنا معاذ رضي الله عنه .

معالم الحلال والحرام ومنار سُبل أهل الجنة، وهو الأنيس فى الوحشة، والصاحب فى الغربة، والمحدِّث فى الخلوة، والدليل على السَّرَّاء والضَّرَّاء، والسلاح على الأعداء، والزَّين عند الأخلاَّء، ويرفع الله به أقواماً فيجعلهم فى الخير قادة ، تُقتفى آثارهم ، ويُقتدى بفعالهم ، ويُنتهى إلى رأيهم، ترغب الملائكة فى خُلَّتهم ، وبأجنحتها تمسحهم، ويستغفر لهم كل رَطْب ويَابِس، وحيتان البحر وهوامه، وسباع البحر وأنعامه، لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصابيح الأبصار من الظلم، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العُلاَ فى الدنيا والآخرة، والتفكير فيه يَعْدِلُ الصيام، ومدارسته تَعْدِلُ القيام، به تُوصل الأرحام، وبه يُعرف الحلال من الحرام، وهو إمام العمل، والعمل تابع ، يُلْهَمُهُ السعداء، ويُحْرَمُهُ الأشقياء ».

وكانت نتيجة ذلك كله أن اندفع المسلمون إلى البحث فى جميع ميادين الحياة ـ روحية كانت أو عقلية أو مادية ـ ونشأ عن ذلك: الحضارة الإسلامية التى أنتجت أمثال جابر بن حيان فى الكيمياء، وابن الهيثم فى الطبيعيات، وأبى بكر الرازى فى الطب، وابن سينا فى الطب كذلك والفلسفة، والغزالى فى الجانب الروحى، وابن رشد فى الفلسفة العقلية، وابن خلدون فى الاجتماع والتاريخ، والخوارزمى فى الجبر، وكثيرين غيرهم.

المناهج العلمية بين الإسلام والحضارة الحديثة:

ولا ريب فى أن الحضارة الحديثة بدأت ، فى قوة جارفة، بمنهجين فى العلم يختلفان ويتعارضان ويتنازعان :

أحدهما: المنهج الحسى التجريبى أو المنهج البيكونى.

والثانى : المنهج العقلى البديهى، أو المنهج الديكارتى، أو المنهج الحدسى حينما نفسر الحدس كما فسره المناطقة بأنه انتقال الذهن إلى المطلوب بسرعة.

وكل من المنهجين نشأ معارضاً لمنهج القياس الأرسطى:

وكل منهما يرى أن القياس الأرسطى إنما يعنى بالصورة والشكل، ولا شأن له بالواقع والتطبيق، ومن أجل ذلك سمى بالمنطق الصورى، أى : منطق الصورة لا الجوهر.

والمنهج البيكونى : هو منهج علمى.

أما المنهج الديكارتى فإنه منهج فلسفى.

والمنهج التجريبى : هو المنهج الذى قامت عليه الحضارة الحديثة، ومن أجل ذلك سنقصر حديثنا عليه:

إنه منهج الاستقراء، أى : تتبع الجزئيات عن طريق التجربة فيما يمكن أن يخضع للتجربة، وعن طريق الملاحظة فيما لا يتأتى أن يخضع للتجربة، للوصول إلى الحكم عليها فى صورة من صورها حكماً

كلياً، أو بعبارة أخرى ـ للوصول إلى اكتشاف القوانين العامة، أو للوصول إلى معرفة نواميس الكون.

ومجال الاستقراء إنما هو الطبيعة لأنه ملاحظة جزئيات فى عالم الطبيعة؛ وأداته الحس، فهو ملاحظة محسوسات.

وعلى أساس من هذا المنهج قامت الحضارة الأوربية الحديثة بكل ما فيها من صناعة فى الطبيعة، ومن اكتشافات فى الكيمياء، ومن قوانين فلكية، ومن اختراعات فى جميع المجالات المادية والحسية.

وعلى أساس من هذا المنهج أيضاً ستتطور هذه الحضارة وترقى وتتسع كماً وكيفاً إلى ما شاء الله.

وهذا المنهج فى المشهور المتعارف يدين فى وجوده إلى « فرنسيس بيكون»، ولكنه عند الدارسين لتاريخ الفكر الأوربى يدين لـ « روجر بيكون » أكثر مما يدين لغيره.

والملاحظون الدارسون للعلوم يرون أن روجر بيكون كان أدق وأعمق فى بيان المنهج وفى تطبيقه، بيد أن روجر بيكون ـ على خلاف كثير من مواطنيه ـ يعترف فى صراحة لا لبس فيها، وفى وضوح لا شائبة فيه، أنه مدين فى منهجه للعرب وللحضارة العربية.

وهذه الحقيقة التى حاول الغربيون جاهدين أن ينكروها ويخفوها

ـ فيما مضى ـ يعلنها الآن بعض المنصفين منهم ،فهـا هو ذا الأستاذ «بريفولت» يتحدث فى كتابه « بناء الإنسانية » عن أصول الحضارة الغربية فيقول:

إن روجر بيكون درس اللغه العربية والعلوم العربية فى مدرسة أكسفورد على خلفاء معلميه فى الأندلس:

وليس لروجر بيكون ولا لسَمِيِّه ـ الذى جاء بعده ـ الحق فى أن ينسب إليهما الفضل فى ابتكار المنهج التجريبى، فلم يكن « روجر بيكون » إلا رسولاً من رسل العلم والمنهج الإسلاميين إلى أوربا المسيحية وهو لم يملّ قط من التصريح بأن تعلم معاصريه اللغة العربية وعلوم العرب هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة .

والمناقشات التى دارت حول واضعى المنهج التجريبى هى طرف من التحريف الهائل لأصول الحضارة الأوربية.

وقد كان منهج العرب التجريبى فى عصر بيكون قد انتشر انتشاراً واسعاً وانكب الناس فى لهف على تحصيله فى ربوع أوربا.

ويقول « بريفولت » أيضاً:

لقد كان العلم ، أهم ما جادت به الحضارة العربية على العالم الحديث:

ولكن ثماره كانت بطيئة النضج.

إن العبقرية التى ولدتها ثقافة العرب فى إسبانيا لم تنهض فى عنفوانها إلا بعد مضىٍّ وقت طويل على اختفاء تلك الحضارة وراء سحب الظلام.

ولم يكن العلم وحده هو الذى أعاد إلى أوربا الحياة ، بل إن مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الإسلامية بعثت باكورة أشعتها إلى الحياة الأوربية .

أخذت أوربا المنهج العلمى المادى عن الإسلام باعتراف واضع هذا المنهج نفسه وباعتراف المنصفين من المؤرخين ، وليس بعد اعتراف واضع المنهج نفسه مقال لقائل ، ومع ذلك فإن المنهج الإسلامى أكمل وأتم وأشمل ، وقد أخذته أوربا ناقصاً . .

إن المنهج التجريبى يقف عند الطبيعة، أو هو منهج إسلامى ولكنه ليس بالمنهج الإسلامى الكامل، فالمسلم لا ينتهى إلى الطبيعة كغاية، ولا يقتصر عليها كهدف، وإنما غايته وهدفه هو ما عبر عنه سبحانه بقوله:

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴾(١).

وإذا اقتصرت أوربا على العلم المادى فإن الإسلام لا يقف عند ذلك، وإنما يوجه الإنسانية إلى مصدر آخر للعلم والمعرفة هو القلب، أو هو الروح والبصيرة.

---

(١) سورة النجم : ٤٢.

إن الإسلام يوجِّه الإنسانية إلى المعرفة الإشراقية، أو الكشفية، أو الإلهامية، ويجمع الإسلام الاتجاه العلمى الحديث إلى الاتجاه البصيرى فى قوله :

﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ (١).

فالسمع والبصر هما أساس العلم المادى: علم التجربة والملاحظة، أما القلب: فإنه أساس العلم الإلهامى.

إن الله سبحانه وتعالى يوجه المسلم إلى الملاحظة والتجربة، ويوجهه أيضاً إلى الاستشراف للهداية والنور القلبى عن طريق الخلق الكريم والتقوى ، والإخلاص ، وحب الإنسانية والمعاونة فى الخير .

وإذا كان الإسلام أوسع نظرة فى الجانب العلمى عن الحضارة الحديثة وأدق وأشمل ، فإنه يختلف معها اختلافاً جذرياً حاسماً فى مسألة الإرادات والنوايا، وفى أمر الأسباب والبواعث، وفى اتجاه الغايات والأهداف .

إن الحضارة الحديثة تقول : العلم لا صلة له بالأخلاق. . أو تقول: العلم لا أخلاقى ، والعلم فى نظرها لا شأن له بالخير والشر .

---

(١) سورة الإسراء : ٣٦.

ولكن الإسلام يجعل أسس العلم متسـمة بالخير، ويجعل غاياته منغمـسة فى الخـير، ويجـعل من العلم قربى إلى الله، ويجـعل منه عبادة لله، إنه سبحانه يجعله مرتبطاً باسمه الكريم..

إن العلم فى الجو الإسلامى قراءة باسم الله.

❑❑❑

الإسلام والعلم

ولا يتأتى ـ والأمر كما صوَّرنا - أن يكون هناك تعارض بين الإسلام والعلم .

على أن مشكلة التعارض بين الدين والعلم إنما نشأت فى أوربا بعيدة عن الجو الإسلامى، إنها تصور نزاعاً فى بيئة بعيدة كل البعد عن الروح الإسلامية التى حثت الإنسانية على التعليم والتعلم ، والتى نشأ المنهج العلمى ـ الذى يعتبرونه حديثاً ـ بين ربوعها قديماً بقدمها، والتى أنشأت ـ على أساس من هذا المنهج ـ حضارة ضخمة لا نزال نكشف كل يوم الكثير من أنحائها العميقة .

وما من شك فى أن الحضارة الإسلامية هى ـ كما يقول الأستاذ بريفولت ـ التى قدمت إلى الحضارة الغربية الحديثة المنهج العلمى وأصول العلم نفسه ، أى : الحقائق المكتشفة فى المجالات المختلفة .

والأمر العام الذى نريد أن ننبه عليه ، هو أن مسألة التعارض بين الدين والعلم إنما هى مسألة وهمية إذا نظرنا إلى حقيقة الأمر .

ذلك أن العلم وممثليه الحقيقيين يعترفون - فى صراحة لا لبس فيها ، وفى وضوح لا خفاء فيه ـ بأن دائرة أبحاثهم إنما هى المادة وإنما هى المُحَسُّ، وأنهم يعتمدون فى ذلك على التجربة وعلى الملاحظة ، إنهم يعتمدون فى ذلك على الاستقراء على وجه العموم،

وليس الاستقراء إلا تتبع جزئيات مُحَسَّة ، تتبعها بالملاحظة ، أو بإجراء التجارب عليها.

والمنهج العلمى ـ إذن ـ إنما هو منهج لمعرفة كيفيات المادة، وإذا ما خرج الأمر عن دائرة المادة فقد خرج عن دائرة العلم .

وعلى هذا الأساس : فليس للعلم ـ مطلقاً ـ دخلٌ فى أمر الدين : إثباتاً وإقراراً أو نفياً وإنكاراً .

وإذا ما قال قائل : إن العلم يثبت كذا من الأمور الروحية؛فإنه يكفينا منه هذه الكلمة ، لنسحب ثقتنا به كعالم.

وإذا ما قال : إن العلم ينكر كذا من الأمور الروحية؛ فإن هذه الكلمة تكفى أيضاً لنسحب ثقتنا به كعالم؛ إذ إن العلم فى المجال الروحى لا يثبت ولا ينفى، وهذا واضح مما سبق أن ذكرناه، ومع ذلك فقد يتيح العلم بأبحاثه فى ارتباط الكون وتنسيقه وإبداعه، والتناغم الذى يسوده ، والدقائق الباهرة التى يبينها « علم التشريح » مثلاً فى التركيب الحيوانى. .

قد يتيح العلم من كل ذلك لعلماء الدين وسائل يبنون عليها تذكيرهم وعظاتهم، وبيانهم القائم على أن العالم لم يكن نتيجة الصدفة العمياء أو الاتفاق الأصم، ويبينون من نتائج العلم أن الآيات فى مجال المادة نفسها تشهد أنها من صنع الله الذى أتقن كل شىء :

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[1] .

إن العلم ـ فى الروح الإسلامية ـ من أسس إسلام الوجه لله .

ونختم هذا الحديث عن العلم بما بدأنا به الحديث عنه من قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[2] .

(١) سورة فصلت : ٥٣ .

(٢) سورة فاطر : ٢٨ .